

فترى من هذا اثنان منزلة هذا الكتاب وبذل العناية في تعميم فوائده في طبعه اذا تمت اجزاؤه . ومن الغريب ان من هذا الكتاب نسختين في دار الكتب الخديوية وكل نسخة منهما تحوى الجزء الاول والثى عددها ٧٦٩٧ ثامه والثى عددها ٧٦٩٨ ناقصة الاخر لكن فهرست الكتب المذكورة لم تذكر سنة كتابتهما . ولعل ذلك ناجم من اهمال التاريخ فيهما . وبهذا القدر كفاية .

### التشبيهات العامة

اصبحت اللغة العربية تضم بين دفتيها امماً شتى مشيرة في كل صقع: من اقاصى الهند وما يترى شرقاً الى اقصى بلاد الغرب وبحر الادرياتيك غرباً ، لا بل تعدت عباب الاقيانوس ، ونثرت بذورها الحية في اميركا ، فاصبحت موضوعاً من المواضيع التى تستحق البحث ، لاسيما وان اللغة خزانه تكثر تحت اغلاقها آثار الامم وانكارها ، ولولا قيد خواطر الامم بالاخبار ، وتدوينها في الكتب التى هي نسيلة لغتهم لاضاعت الامم كلها باسرها ، فهى اوسع عيية لاخلق الامم ومعارفها ، واعدل شاهد على الناقص والوافر من الناطقين بها .

نرى صفاء من العلماء قد واصلوا الخطى ، واجهدوا دقائق الدماغ ، تفكراً وسعياً وراء العلوم الطبيعية ام الاختراعات الحديثة ، وطلباً لمصادر الزوة ، وتقريباً لاسباب المعيشة ونسبلاً للنقل ، وتخفيفاً للاتقال ، ونرى امامهم صفاء آخر ليس بالقليل يفتش اعماق الصخور ، وينقب في اجواف الكهوف ، عن كلمة من لغة الامم البائدة ، او عن سطر من اسفارها ، طلباً لتوسيع المدارك واختباراً لحالات الامم البائدة . وتصفحاً لاخبارها وآثارها من اخلاق وعلوم وعادات .

على ان علماء هذا اليوم لم يوجهوا انظارهم الى ما تقدم عهده من الامم الممالك المنقرضة ، ولغاتها ، وآدابها ، وتاريخها ، بل حوكتها ايضا الى لغات اقوام هذا العهد الحية ، واخذت تمارضها بما سبق مثاله منها . لتعرف اسرار

الغابرين من وقوفها على دخائل المعاصرين . فهض لهذه الغاية من جميع  
الائم قوم من اهل السبى والاقدام ، وشلوا كساة وسهم وراة تحقيق هذه  
الائمة ، ففازوا بالسهم الممل منها ؟ وهانحن اولاء نقفنى آثارهم فى وضع حجر  
فى اساس لغتنا الشائعة العامة ، تلك التى اختصم فى امرها اقلام لله من  
الكتاب ، تختلف ارآء اصحابها بعضها عن بعض . فقوم يظن انها كانت قبل  
الاسلام أسيرة خدرها قد اشتبكت على حبلها الاطناب ، فماشت بعيدة عن  
عوامل التحت والتحرير ، نأية عن فواعل القلب والتصحيح ، بل اصبحت  
فى معنى لا يصل اليه التغير ، ولا يتطرق اليه الفساد . كيف لا وهى لغة  
نشأت بين قوم لم يألفوا الا البهائم والفسار ، ولم يعرفوا سوى المغاور  
والكهوف من الامصار ، حتى قال قائلهم : ( ليس وراة عبادان قرية ) .  
ولهذا قال اصحاب هذا الحزب ان اللغة العامة ليست واللغة الفصيحة  
بتوأم ، بل هى اخت صغيرة لها ، نشأت بعد ان قطعت اخنها البكر نصاباً  
من العمر او مئين من السنين .

وهناك حزب يرى انها رضيعتنا لبان ، نشأتا فى مهد واحد ، وترعرعنا فى  
حضن واحد ، وان اللغة العامة برأسها قديمة بقدم اللغة الفصحى .

وربما ينضم الى الحزبين حزب معارض وهذا صوته : ان اللغة العامة  
ان اريد بها نتائج التحريف والقلب والتصحيح فهى قديمة لوجودها فى لغة  
الناطقين بالضاد منذ الزمن الاول ، ولانه لا يمكن للغات كلها ان تخضع لقانون  
عام ترسف بقيوده ، وليس غرض الناطق الا ما يبدل على المقصود ، فيردد ما يخفف  
على الشفاء ، ويسهل على الاسان ، فيضطر حينئذ الى التصحيح والتحريف ،  
وحسبنا شاهداً على ذلك ان اللغة العامة فى الاول كانت مقصورة على التادر  
والشاذ ، ثم تمت هذا النمو المدهش ، ولولا ان خطه البحث هنا اضيق من  
سم الحياط ، لسردنا عليك ادلة جمة مقنعة . وان اريد بالعامة ما اشتملت  
على الدخيل ، وما حظ بفنائها من النزول ، فهى ليست بقديمة كاهو مذهب  
الحزب الاول والشواهد هى أدلتهم .

ولقد تتبع الباحثون عن لغتنا الفصحى ، فكانت نتيجة استقراهم قوانين

ونواميس قد سمت مفرداتها ومركباتها ، فادعوها مجملات ضمنية ، هي المعاجم وكتب النحو والصرف وأسفار المعاني والبيان والبدیع ؛ ولوقيض لغتنا العامة نقاب يستقرى كلماتها ، وينقب عن دقائقها ، لعرف ان في الفرع ما في الاصل ، بل وزيادة . ولا يثبت ان يرجع بمثل الحقائق من تلك النواميس الوضعية . فان من صرف ان تلك القوانين ليست بالطبيعية ولا العقلية ولا يمكن التمسك منها بل هي وضعية ناتجة عن قياس : كبراء الاستقراء ، وصغراء الاغلب ، آمن بان امتنا العامة قابلة للخضوع لتلك القوانين عينها . اما الاصراب فلا يستلوع ادخاله فيها كما هو في اختها لان السكون سائد عليها فلا تجد حركة في آخر كلمة منها ، ولكن النحو مستطاع لمعرفة الفاعل والمفعول وجملة من مسائل النحو بطريقة اخرى ؛ عما ان نطرق موضوعها بعد البحث والتنقيب . واما البديع فهو باغلب انواعه موجود فيها كالجناس والانسجام والاقتراس والاستعارة والتلميح والتشبيه الذي هو موضوع البحث .

فالتشبيه ، وبعبارة اضبط : القياس او المقارنة موجود في لغتنا العامة ووجوده في اختها وسأفرغ الوسع في رسم التشبيهات بنصها ومنطوقها ؛ ولا انمرض للتشبيهات المبدولة فانها لاتصلح لان تكون غذاء للفكر ، ولا مورداً للاقلام ؛ وانما اذكر الشائبة منها ، والجارية بحرى المثل ؛ وانت تعلم الفرق بين التشبيه والمثل . فائتلى توقيفي ، وهي ليست بتوقيفية ، وربما التفتنا على مادة البحث بصاحب الامثال العامة وافترقنا بسلام . وبمد هذا التمهيد اقول :

ادوات التشبيه في لغتنا العراقية العامة ثلاث : ( مثل ) ( وجه ) وبالجميم المثلثة الفارسية ونون مفتوحة وهاء ساكنة ؛ اصلها كانه وقد اعتاد بعض العراقيين قلب الكاف جيماً كما مر الكلام عنه في هذه المجلة ، والاداة الثالثة المصدر المدخول عليه اداة تشبيه محذوفة . فاذا علمت ذلك اذكر لك الآن ما يقع في حفظي من التشبيهية ، فمنها اقوالهم :

( مثل الزبيك لا يطير بعيد ، ولا ينلزم باليد )

الزبيك كثير الاضطراب ، منه ما يستقي من معدنه ، ومنه ما يستخرج من حجارة معدنية ؛ واصل اللفظة زبيق ، والعامة تبدل القاف كافاً فارسية مثابة كما مر الكلام

عنها في غير هذا الموطن ؛ وتبدل الهمزة ياء كما في سائل ومائل فتقول فيهما ( سائل ومائل ) والزئبق بفتح الباء وكسرها فارسي معرب . ( ابيد ) همزة مكسورة كسراً غير بين ، وسكون الياء وهو بعيد فيل بمعنى فاعل ، زادوا عليه الهمزة هرباً من الابتداء بالسكن . ( ينلزم ) بفتح الياء وسكون النون وكسر اللام والزاء وسكون الميم وهو مضارع النلزم انفسل من لزم ، ولزم في اللغة يأتي بمعنى ثبت ودام واما العوام فيستعملونه بمعنى مسك وقبض . وزادوا في اوله النون اشارة الى ما لم يسم فاعله ، فاتهم اذا ارادوا بناء الفعل للمجهول حملوه على وزن انفسل كما في قولهم انقتل ينقتل وانضرب ينضرب ، وليس عندهم بناء للمجهول في غير انفسل الامندر . وهذا النادر هو وزن تفعل وانفعل .  
والايد . اليد . وعدم بعد الزيبك كتابة عن اضطرابه المتواصل وهي وجه التشبه وقد قصد ابو تمام هذا التشبيه في الزئبق ، فقال :

وتنقل من مضر في معشر فكأن امك اواباك الزئبق

واورده المتبي في قوله :  
ادرن عيوناً حارثاً كانتا مركبة ابدانها فوق زنة

وهذا التشبيه يذكر لمن يكون قريب المثال وعزيز الحصول عليه وهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس وتشبيه حالة بحالة . ومن هذه التشبيه الخاصة باهل العراق قولهم :

( الطول طول النخلة ، والعقل عقل الصخلة )

الطول : بكسر الالف كسراً غير بين ، وحذف اللام لفظاً ، وواو ولا م ساكتين ، معروف ، طول ، بطاء مضمومة بعدها والساكنة يليها لام متحركة مشتركة هو ايضاً . بالمعنى المشهور . النخلة بالضبط المتعارف واللام المفتحة هي بمثابة المألوف . والعقل بالضبط المشهور ولفظ القاف الصريحة ككافاً مثله فارسية واللام الساكنة . وعقل الثانية ، مثل الاولى مع تحريك اللام بحركة مشتركة والصخلة . وزان النخلة . مع تضخيم اللام في كلا اللفظين . والصخلة تصحيف النخلة وهي الغزاة عند اهل العراق ، تأنيث السخل وهو التيس عندهم . والبحث عن ادراك الحيوانات وتعقلها امر لا حقيقة له الا عند اصحاب

الحرفات وواضح الامثال على السنة المعجماوات . فانهم قد فعلوا ذلك بفيه اصلاح الانسان لا غير . ومهما يكن من هذا الامر وآراء الماديين والروحانيين فيه ، فاننا لا ننظر اليه هنا الا من جهته عند اهل البديع . فان هذا التشبيه يضم تشبيها آخر على حد طريقة التشبيه المركب في اصطلاح علماء هذا الفن . اما اول التشبيهين فلا يتضمن شيئاً يوجب الالتفات . واما الثاني ففيه فائدة لان العامة تقول : عقل صخيل ، وعقل اصخول ( = سخول ) وتريد به احد الوجهين . وهما : اما لان المخر اشترت عند العرب بالغبوة — وهو مما لم يشته الواقع اثباتاً لا يبقى مجالاً للريب — فانهم اذا ارادوا التعريض بجهله وظلمة عقله قالوا : هو تيس . واذا ارادوا الغاية في الجهل والغبوة قالوا : ما هو الا تيس في سفينه . فاخذت ذلك العامة وشبهت به البليد . — واما انهم يطلقون لفظ الصخل ولا يستعملونه في معناه الحقيقي بل هو طرية عندهم للزنجي لما بين لوني هذين المخلوقين من المشابهة في اللون . او لتوحش الزوج ومهيجتهم .

وهذا التشبيه يساق لمن كبرته المناظر ، وصغرت الخباير ، فالرائي يرى المرئي طوله كطول النخلة وعند الاختيار لا يرى فيه من العقل ما يزيد على عقل السخلة . وقد حذفت العامة اداة التشبيه واقامت المصدر مقامها كما في قواهم : نمر صر السحاب . ومن تشابههم قولهم :

( مثل البعير ، يشيل شكر ، وياكل عاكول )

( ضبط الالفاظ ومعانيها ) البعير ، بكسر الباء عندهم دائماً ولا يفتحونها البتة . وهي لغة قديمة في العراق وغير هذه الديار . قال عمر بن خلف بن مكي : « كل فصيل وسطه حرف حلق مكسور ، يجوز فيه كسر ما قبله ، او كسر فائه اتباعاً للعين في لغة نعيم ، كشعر ورحيم ورغيف وما اشبه ذلك ، بل زعم اللبث : ان قوماً من العرب يقولون ذلك وان لم تكن عينه حرف حلق ككبير وجليل وكريم . . . — والبعير للذكر من الابل . ويسمون الاثني ناقة ( بلفظ القاف كفا فارسية مثله ) وبعيرة .

( يشيل ) مضارع شال ومنها عندهم رفع وحمل . وهي مأخوذة عندهم

من شئت الناقمة بذنبها : رفته . وشال الذنب نفسه اى ارتفع منعد ولازم .  
 ( شكر ) سكر . وهى لفظة قديمة فى الفارسية من اصل سندس كرتى .  
 والسكر عند الفرس قسمان : قسم طيبى وهو ماء القصب ( وقصب السكر  
 وهو الابلوج وهذه ايضا من اصل فارسي واللفظة العربية هى المصاب ، يضم  
 الميم ) . وقسم صناعى ، وهو يكون اجزاء صغيرة متبلورة ذات اشكال هندسية  
 مختلفة الهيئة من مثثة ومربعة ومستطيلة . ولم نجد لكلمة سكر مرادفاً  
 عربياً صرفاً فى ما وصلت اليه ابدينا من الكتب . ولا جرم انها دخلت  
 لغتنا باحتكاك اساء العرب بابناء الفرس . وشكر ( وزان سبب ) تخفيف شكر  
 الفارسية ( وزان زفر وقبر اى يضم وفتح فى الاول . وضم وفتح بتشديد  
 فى الثانى ) ( وياكل ) غير مهموزة وهى لفظة فارسية عندهم . ( وما كول )  
 بكاف مثناة النقط او قاف هو الماقول ، الثبات الشائك المشهور الذى ناكله  
 الابل وهو دائم الحضرة يثبت فى الارضين الرملية وعلى ضفاف الانهار .  
 وجميع الغضاظ هذا التشبيه ساكنة الاخرى الاكلمة ( مثل ) فليكون  
 ورامها ال التعريف تحرك بحركة مختلفة مشتركة اللفظ بين العكس  
 والضم .

يساق هذا التشبيه لمن يجلب المال الكثير بأنواع الكسب ، وعليه فهو  
 « يشيل شكر » ويقع بالعيش الوبيل فهو « ياكل ما كول » . وهذا من باب  
 تشبيه غير المحسوس بالمحسوس وتشبيه حالة بحالة وكأن لغتنا الفصحى لم ترض  
 لاختها الانفراد بهذا التشبيه فشاركها بقول الشاعر :

كالعيش فى اليد آء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول  
 النجف ( عش )

## بَابُ الْمُبَاشَرَةِ وَالْإِنْتِقَادِ

١. سبيل الرشاد ( مجلة بغدادية )

« مجلة دينية علمية اجتماعية فلسفية تاريخية » تصدر فى الشهر مرة